كلمة في المنهاج (3)

العبرة بالحقائق والمعاني لا بالأسماء والمباني

بقلم الشيخ؛ أبي محمد المقدسي

يقول الله تعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ}** [الأنعام: 112-113]

كثير من الناس يغتر بالعناوين البراقة وتصغى أفئدتهم إلى اللافتات الكبيرة والمزخرفة التي ترفعها الدول والأنظمة. والسطحيون السذج يغترون كذلك بالأسماء والأوصاف التي تتصف أوتتسمى بها كثير من الطوائف والفرق والجماعات؛ ويرضون تلك الجماعات دون أن ينظروا في حقيقتها وحقيقة مسمياتها وأوصافها..وهو الشيء الذي يغرر بهم ويلبس عليهم أمرهم وربما أوقع كثيرا منهم في انحرافات في المنهاج وتخبط بين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين.

ولذلك إحترف كثير من شياطين الجن والإنس حرفة زخرفة الأسماء وامتهنوا مهنة تضخيم اللافتات وتلميعها وتسميتها بغير أسمائها الحقيقية لحرف أتباعهم عن جادة الحق والصواب ولصرفهم عن المنهاج..

وخدعة تسمية الأشياء بغير أسمائها الحقيقية سنة أبليسية وطريقة شيطانية؛ إذ أن أول من زخرف الأسماء وتلاعب بها ليموه الحقائق ويخادع البشر هو إبليس فهو صاحب هذه السنة والطريقة حين سمى شجرة الطرد والحرمان بشجرة الخلد وملك لا يبلى؛ ليغرر بأبينا آدم عليه السلام.. وتابعه على هذه الطريقة وانتهجها أهل النفاق وأعداء الشرع..

فقد ذكر الله عز وجل أن أهل النفاق يمارسون هذه اللعبة الخبيثة أيضا منذ القدم وأنهم {إذا قيل لهم لا

تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون} فهنا سموا الفساد إصلاحا..

وقال تعالى: **{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً}** (62) النساء.

وهنا سموا تحاكمهم إلى الطاغوت إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً!!

وهو دأب كل الطواغيت ومن نهج نهجهم يجعلون كفرهم وإلحادهم إيمانا وإحسانا، ويصفون زيغهم وإفسادهم بالإصلاح والرشاد، ويسمون إرهابهم وإذلالهم لعباد الله بالأمن وخدمة الشعب!! وفي المقابل ينعتون جهاد الموحدين ودعوتهم بالتخريب والإخلال بالأمن والإرهاب!!

وقديما قال فرعون عن موسى ودعوته: **{إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}** [غافر: من الآية26]

وكذلك زخرفوا الربا وسموه بمسميات عصرية كالفوائد والعوائد ليسوغوه.. و كذا سموا الخمر المشروبات الروحية..

وفي الحديث الصحيح: (يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها)

ونحن نشاهد في زماننا كثيرا من الجماعات والفرق والطوائف تستن بهذه السنة لترويج بدعها.. فتحت دعوى موالاة آل البيت ومحبتهم وبهذا المسمى الجميل واللافته المزخرفة يُروّج الرافضة لباطلهم العريض فيقولون بتحريف القرآن ويطعنون بعرض زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ويكفرون جمهور أصحابه كل ذلك تحت مسمى حب آل البيت وبدعوى موالاتهم والدفاع عنهم!!

ومن الفرق من سمى عقيدة الكفر القائمة على الاتحاد والحلول؛ توحيدا!!

ومنهم من جعل نفي صفات الرب تنزيها ترويجا لباطله.

ومن ضُلال أهل زماننا من يسمي الديمقراطية ويصـفها بالشورى ترويجا لها بين عوام المسلمين وتضليلا!!

ومنهم من يصف ويسمي حكام الردة وطـواغيت الكفـر بولاة الأمور كي يدخل الناس في طـاعتهم ويسـوقهم إلى موالاتهم..

ومنهم من يسمي دعاة التوحيد والمجاهـدين الخـارجين على طـواغيت الكفـر بـالتكفيريين والخـوارج؛ ويسـمي منهجه الإنبطاحي للطواغيت بالنهج السلفي الأثري؛ تنفيرا عن دعوة التوحيد وترغيبا بوصل الطواغيت!!

وهـذا النهج استحسـنته الحكومـات واسـتعملته أيضـا كثيرا.. حتى بلغ بي العجب مبلغـه من جـرأة محقـق كبـير في دائرة المخابرات وهو يسـب ديـني وعقيـدتي بـأفحش الألفاظ؛ ثم يسـتدرك قـائلا وهـو يـرى تمعّـر وجهي: أنـا لا أسب العقيدة والدين الصحيح؛ بل أسـب دينـك أنت!! أنت دينك غير الدين الصحيح! أنت زنديق!!

فلو نفعه هذا التلاعب لنفع من قبله شيخه إبليس..

وعليه فعلى طالب الحق أن لا ينقاد للزخارف والأسماء حـتى ينظـر في حقائقهـا وأن لا تغرنـه اللافتـات الضـخمة حـتى ينظـر فيمـا وراءهـا.. عارضـا لحقائقهـا لا أسـمائها، ولمعانيها لا مبانيهـا؛ على مـيزان الشـرع؛ مـيزان التوحيـد الذي ميّزناه عن سائر الموازين في المـرة السـابقة؛ وأن لا يصغى فؤاده إلى تلكم الزخارف أو يرتضـيها؛ وذلـك من أجل أن يبقى مستقيما على الجادة ولا ينحرف أو يتشوش عليه المنهاج..

فليس الاعتبار بالأسماء والمباني.

وإنما الاعتبار بالحقائق والمعاني.

أبو محمد المقدسي